*** الأسلوب والأسلوبية**

لابدّ من التفريق بين الأسلوب والأسلوبيّة؛ فالاسلوب هو طريق التعبير أو الإنشاء أو الكتابة، وطريقة اختيار الألفاظ وتأليفها والتعبير بها عن المعاني قصدًا للإيضاح والتأثير، وهو العنصر اللفظيّ في النصّ، يقابله العناصر المعنويّة: الأفكار والخيال والعاطفة. وتعريفه يختلف باختلاف المنطلقات؛ فهناك تعريف بالنظر إلى المخاطِب والمخاطَب والخطاب، وهذا التعدد أثّر في تعدد الأسلوبيّات أيضًا.

وهناك عالم مشهور قال: "الأسلوب هو الرجل نفسه" وهو الكاتب الفرنسي كونت دي بوفون (Georges-Louis Leclerc, Comte de Buffon)، وهو عالم طبيعة وكاتب فرنسي عاش في القرن الثامن عشر (1707-1788).

اشتهر بوفون بموسوعته "التاريخ الطبيعي"، إذ قدم فيها رؤى علمية عن الحيوانات والنباتات والمعادن. أما عبارته الشهيرة "Le style, c'est l'homme même" (الأسلوب هو الرجل نفسه)، فقد جاءت في خطاب ألقاه عند انضمامه إلى الأكاديمية الفرنسية عام 1753، وتعني أن أسلوب الكتابة يعكس شخصية الكاتب وفكره، وليس مجرد زخرفة لغوية.

أما الأسلوبية فهي منهج من مناهج النقد الحديث، ويعدّ من مناهج الحداثة، وهو متفرّع من شجرة اللسانيات، فالأسلوبية (Stylistics) هي علم يدرس الأسلوب بوصفه ظاهرة لغوية، ويبحث في الخصائص التي تميز لغة النصوص الأدبية وغيرها. تسعى الأسلوبية إلى تحليل النصوص من حيث البناء اللغوي والدلالي والجمالي، وتستخدم أدوات لغوية وإحصائية لدراسة الفروق الأسلوبية بين النصوص المختلفة.

يدرس الأسلوب في اللغة حين يمارسه الإنسان كلامًا ينطق به أو يكتبه؛ إذ تمتدّ الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب، يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي: (والأسلوبية هي علم كما يراها بعض الدارسين الغربيين أو هي نقد أو فلسفة أو نهج كما يراها آخرون تقترن دائماً بالأسلوب فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر فإذن الأسلوب والأسلوبية متلازمان).

*** تعريف الأسلوبية في الأدب**

*** ثمّة تعريفٌ يكاد يكون متّفقًا عليه بين المهتمين بأمر الدراسة الأسلوبيّة، ذلك هو النّظر إلى الأسلوب بوصفه "طريقة التعبير عن الفكر بواسطة اللغة"، وعلى الرغم من أنّ هذا التعريف يضرب بجذوره إلى كتاب "الخطابة" لأرسطو؛ حيث يرد الأسلوب عنده بمعنى التعبير ووسائل الصياغة، وإلى كتاب "دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني؛ إذ عرفه صراحةً في قوله: "والأسلوب: الضرب من النّظم والطريقة فيه"، الا انه يمكن القول إنّ الأسلوبيّة هي علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغويّة التي تُكسِب الخطاب العادي أو الأدنى خصائصه التعبيريّة أو الشعريّة، فتميّزه عن غيره، إنّها تبحث في الظواهر الأسلوبيّة بالمنهجية الأسلوبيّة، وتعدُّ الأسلوبَ ظاهرة لغويّة تُدرَس في النصوص وسياقاتها.**

وعرّفها (رومان جاكوبسون) : بأنّها البحث عمّا يتميّز به الكلام الفني عن بقيّة مستويات الخطاب أولًا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة ثانيًا، فيرى أنّها فنٌّ من فنون شجرة اللسانيّات.

تدرس الأسلوبيّة كلَّ ما يتّصل بمظاهر (الانحراف الجمالي، الانزياح، العدول) في النصّ الأدبي، وتهتمّ بكلّ ما يتصل باللغة من أصوات وكلمات وصيغ وتراكيب ونحو وصرف ودلالة؛ اذ تمثّل جملة (محمد كريم) كلامًا عاديًّا، بينما تمثّل جملة (محمد بحر) انزياحًا أو عدولًا عن المألوف في اللغة، وكذلك فإنّ الأسلوبيّة تخرج عن نظام اللغة من حيث الترتيب في التراكيب، وحذفها وذكرها وغيرها من الأساليب اللغويّة.

ويتحدّد المنهج الأسلوبي وفق اتجاهات متعددة

1- الاسلوبية الصوتية: وهي التي تهتمّ بدراسة الأصوات والإيقاع والعلاقة بين الصوت والمعنى.

2-الأسلوبيّة الوظيفيّة وتهتمّ بدراسة العدول أو ما يسمى بالانحراف أو الانزياح.

3- الأسلوبيّة التعبيريّة: رائدها (بالي) الذي شقّ الطريق للتفريق بين أسلوبين أحدهما ينشد التأثير في القارئ، والآخر لا يعنيه إلّا إيصال الأفكار بدقّة.

4-الأسلوبيّة الإحصائيّة: تقوم على دراسة ذات طرفين: التعبير بالحدث: ويُعنى بالكلمات أو الجمل التي تعبّر عن الحدث وبالتالي الكلمات. التعبير عن صفة: ويتمّ احتساب عدد التراكيب والقيمة العددية الحاصلة تزيد أو تنقص، تبعًا لزيادة أو نقص عدد الكلمات الموجودة في هذه التراكيب.

نشأة الأسلوبية في التراث العربي والغربي

1. في التراث العربي

يمكن تتبع جذور الأسلوبية في التراث العربي من خلال الدراسات البلاغية والنقدية التي اهتمت بالأسلوب وجماليات التعبير، ومن أبرز هذه الدراسات:

- علم البلاغة العربية الذي بدأ مع الجاحظ وابن المعتز وعلماء الإعجاز القراني والجرجاني والسكاكي وغيرهم، اذ ركّزوا على الفصاحة والبيان وفنون البديع.

وعلى سبيل المثال يتضح المصطلح عند ابن قتيبة الدينوري(ت276هـ) بقوله : " والشاعر المُجيد من سلك هذه الأساليب, وعدل بين هذه الأقسام, فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر, ولم يطل فيملّ السامعين, ولم يقطعْ وبالنفوس ظمأ إلى المزيد", ويبدو من هذا النص إيمان ابن قتيبة بضرورة مناسبة الشاعر بين القول ومقامه, فيطيل ويوجز بحسب اقتضاء الصياغة منه

ذلك, مع مراعاة حال السامع وقت إنشاده قصيدته, وتابعه في هذا المعنى القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت392هـ) الذي رأى إن اختلاف القوم في نظم أشعارهم إنما هو نابع من اختلاف طبائعهم, وتركيب خلقهم . ونادى بضرورة مناسبة المقال للمقام فلا يكون الغزل كالافتخار, ولا المديح كالوعيد,, ولا الهجاء كالاستبطاء, ولا الهزل بمنزلة الجد, "فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف, ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام, فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به, وطريق لا يشاركه الآخر فيه...

وقد يتصل مفهوم (الأسلوب) عند آخرين بالغرض والموضوع, مثلما نجد ذلك عند الحاتمي (ت388هـ), والباقلاني (ت403هـ), وابن رشيق القيرواني (ت456هـ). وربما اقترب من مفهوم النظم الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام, وذلك نجده ماثلا في كتابات عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ), إذ قال: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا – والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه- فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال قد قطعها صاحبها؛ فيقال قد احتذى على مثاله"

- فهو يرى بان نظرية "النظم"،ترى أن جمال الأسلوب يعتمد على ترتيب الكلمات والعلاقات بينها، وليس مجرد انتقاء الألفاظ.

وقد حاول من جاء من بعد عبد القاهر أن يوظف مفهوم الأسلوب على هذا النحو أمثال جار الله الزمخشري (ت538هـ)، وأبي يعقوب السكاكي (ت626هـ), ويحيى بن حمزة العلوي (ت794هـ).

وقد يرقى مفهوم الأسلوب إلى النوع الأدبي , وطرق صياغته مثلما نجده عند السجلماسي (توفي بعد 704هـ) الذي أطلق على فنون البلاغة مصطلح (أساليب) فسمى واحدا من كتبه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) الذي عنى من خلاله بالفنون البلاغية التي تناولها كتابه مثل التشبيه, والاستعارة, والإشارة, والمبالغة والتضمين.

لقد تبلورت فكرة الأسلوب عند القدامى في تعريف ابن خلدون (ت808هـ), إذ اتجه إلى محاولة تنظيرية مباشرة له استلهم فيها خلاصات جهود سابقيه من البلاغيين والنقاد العرب إذ قال: "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة, وما يريدون بها في إطلاقهم فأعلم إنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيها التراكيب, أو القالب الذي يفرغ فيه.."، ثم حدد مفهوم الأسلوب في الإبداع الأدبي فذكر إنه يرجع "إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص, وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها, ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصّا كما يفعل البنّاء في القالب, أو النسّاج في المنوال..".

2. في الفكر الغربي

- **ظهرت الأسلوبية في الفكر الغربي بشكل منهجي في القرن التاسع عشر، لكنها تعود إلى أرسطو الذي درس الأسلوب في كتابه "الخطابة".**

- **في العصر الحديث، بدأت الأسلوبية تتطور مع اللغويين مثل شارل بالي (Charles Bally) في أوائل القرن العشرين، الذي ركز على العاطفة في اللغة، ثم توسعت مع رومان جاكوبسون ومدرسة براغ البنيوية، حين تم دمج الدراسات اللغوية مع النقد الأدبي.**

ويظهر نوعان من الأسلوب،

الأول، الأسلوب التعبيري: وهو ذو وظيفة أبلاغية, وغايتها إثبات إرادة المتكلم بالألفاظ, ومنهجه دراسة الوسائل التعبيرية في المجال اللغوي الذي تلتقي فيه اللغة بالحياة, وقد أشار إلى هذا النوع (شارل بالي), فقال:" إن اللغة الطبيعية كالتي نتكلمها جميعا ليست في خدمة التفكير الصرف, ولا في خدمة الفن, ولا تأخذ في اعتبارها المنطق الأعلى, ولا المثل الأدبي الأعلى, إنما وظيفتها الأولية والثابتة ليست إقامة القياسات المنطقية واختتام الجمل, والجمل وفق التفاعيل الشعرية. إنها بكل بساطة في خدمة الحياة, لا حياة الأقلية بل حياة الكل, وبكل مظاهرها, ووظيفتها بيولوجية واجتماعية"، وهذه مسألة عني بتطبيقها العرب منذ القدم، وهي عندهم فن أصيل، إذ انهم غالبا ما عبروا عن جوانب الحياة اليومية بطرائق فنية تربط الحياة بالأدب أو بمعنى آخر الحياة بالذوق الفني.

الثاني: الأسلوب الأدبي: وهو ذو وظيفة فنية تجعل للعمل الأدبي خصائص ومميزات تميزه عن غيره, ومن أبرز رواده (ليوسبتزر), الذي قال في توضيح هذا الأسلوب: "يجب أن يبدأ في الحقيقة أي تحليل للنص, وأية دراسة في فقه اللغة بنقد الجمال مع اعتبارنا كمال العمل المدروس أمرا مفروغا منه, وبرغبة كاملة في المشاركة الوجدانية يجب أن يكون دفاعا وتبريرا موجزا..."، وهكذا يبدو إن الأسلوب الأدبي أسمى من الأسلوب التعبيري, وأجل شأنا, وهو مدار الدراسات الأسلوبية ولبنة النصوص الإبداعية.

- **في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت الأسلوبية الإحصائية، التي تعتمد على تحليل النصوص رقميًا لمعرفة خصائص الأسلوب المختلف**

اي ان الأسلوبية بصفتها دراسة تحليلية للأسلوب نشأت في التراث العربي عبر البلاغة والنقد، أما في الغرب فقد بدأت مع أرسطو وتطورت مع اللغويين البنيويين في العصر الحديث، حيث أصبحت فرعًا مستقلًا يجمع بين اللسانيات والنقد الأدبي

الأسلوبية عند شارل بالي ورومان جاكوبسون

1. الأسلوبية عند شارل بالي (Charles Bally, 1865-1947)

يُعد شارل بالي مؤسس الأسلوبية الحديثة، حيث كان تلميذًا لـ فرديناند دي سوسير وطور أفكاره اللغوية، لكنه ركّز على البعد العاطفي والانفعالي في اللغة، على عكس سوسير الذي ركّز على النظام اللغوي المجرد.

أهم أفكار بالي في الأسلوبية:

1. اللغة والتعبير العاطفي: يرى بالي أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل هي وسيلة للتعبير عن المشاعر والانفعالات. ولذلك، يركز على الجانب الوجداني في اللغة.
2. الفرق بين اللغة العادية والأسلوب الأدبي: ميز بين اللغة العادية التي تستخدم للتواصل اليومي، واللغة الأسلوبية التي تُستخدم لإحداث تأثير جمالي أو عاطفي.
3. المستويات الأسلوبية: قسّم الأساليب اللغوية إلى مستويات مختلفة تتراوح بين الأسلوب الرسمي، وغير الرسمي، والعامي، والعاطفي.
4. العوامل النفسية والاجتماعية: أكد أن الأسلوب ليس مجرد بناء لغوي، بل يتأثر بالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية.

أهمية نظريته:

- تعد أفكار بالي الأساس لظهور الأسلوبية الحديثة، خاصة في دراسة النصوص الأدبية من زاوية العاطفة والانفعال.
- أثرت آراؤه في الدراسات اللغوية والأسلوبية اللاحقة، مثل الأسلوبية البنيوية عند جاكوبسون

2. الأسلوبية عند رومان جاكوبسون (Roman Jakobson, 1896-1982)

يُعد رومان جاكوبسون من رواد الأسلوبية البنيوية، وهو أحد أعضاء مدرسة براغ اللغوية. كان اهتمامه بالأسلوبية جزءًا من دراساته حول وظائف اللغة، حيث رأى أن الأسلوب ليس مجرد مسألة ذوقية أو عاطفية، بل يخضع لأنظمة لغوية دقيقة.

أهم أفكار جاكوبسون في الأسلوبية:

1. **اللغة بوصفها نظامًا من الوظائف: قسم جاكوبسون التواصل اللغوي إلى ست وظائف، أهمها الوظيفة الشعرية، التي تعني أن الأسلوب الأدبي يركز على شكل الرسالة نفسها أكثر من مضمونها.**
2. **الأسلوبية البنيوية: يدرس الأسلوب بوصفه بنية لغوية مستقلة، وليس مجرد انعكاس للعاطفة أو الذوق الشخصي.**
3. **تحليل البنية الصوتية والإيقاعية: ركز على دراسة الأصوات والتكرار والإيقاع كأساليب أسلوبية في النصوص الأدبية.**
4. **الانزياح الأسلوبي: رأى أن الأسلوب الأدبي يتميز عن اللغة العادية من خلال الانزياح عن القواعد العادية للغة، مما يخلق تأثيرًا جماليًا خاصًا.**

أهمية نظريته:

- **قدم جاكوبسون منهجًا علميًا لتحليل الأسلوب، بالاعتماد على علم اللغة البنيوي.**
- **أسهم في تطوير مفهوم الأسلوبية الشكلية، التي تركز على العناصر اللغوية نفسها بدلًا من العوامل النفسية والاجتماعية (كما فعل بالي).**
- **أثرت أفكاره في المدارس النقدية الحديثة مثل الأسلوبية الإحصائية والتفكيكية**

الفرق بين بالي وجاكوبسون في الأسلوبي

المقارنة,شارل بالي,رومان جاكوبسون

المنهج,نفسي-عاطفي,بنيوي-شعري

الاهتمام الرئيسي,العاطفة والانفعال في اللغة,بنية اللغة ووظائفها

التأثير,علم الاجتماع اللغوي,اللسانيات البنيوية والشعرية

الأسلوبية,تركز على تأثير اللغة في المتلقي,تدرس الشكل اللغوي نفسه

- **بالي ركز على الجانب العاطفي والاجتماعي في الأسلوبية، واعتبر اللغة وسيلة للتعبير عن المشاعر.**
- **جاكوبسون قدم تحليلًا بنيويًا للأسلوب، وركز على كيفية عمل اللغة داخل النص الأدبي نفسه.**

كلاهما أسهما في تطور الأسلوبية، لكنهما انطلقا من زوايا مختلفة: بالي من الجانب النفسي والاجتماعي، وجاكوبسون من الجانب البنيوي واللغوي

الفرق بين بالي وجاكوبسون في الأسلوبي

وهناك ناقدان آخران لهما دوفي نشاة الاسلوبية هما غوستاف لانسون (1857-1934) وليو سبيتزر (1887-1960) كانا ناقدين أدبيين بارزين في مجاليهما.

غوستاف لانسون كان رائدًا في المنهج التاريخي في النقد الأدبي، حيث ركز على دراسة النصوص الأدبية في سياقاتها التاريخية والثقافية لفهم تطورها وتأثيرها.

ليو سبيتزر كان معروفًا بإسهاماته في مجال الأسلوبية، حيث اهتم بدراسة الخصائص اللغوية والأسلوبية للنصوص الأدبية، مسلطًا الضوء على التفاصيل اللغوية لفهم العمق الأدبي.

يُعد كلا الناقدين من الشخصيات المؤثرة في تطوير مناهج النقد الأدبي الحديثة، حيث قدما رؤى وأساليب جديدة لتحليل النصوص الأدبية.

ليو سبيتزر (1887-1960) كان ناقدًا أدبيًا نمساويًا وعالم لغة بارزًا، يُعد من رواد الأسلوبية الأدبية، والتي تُعرف أيضًا بالأسلوبية التكوينية أو أسلوبية الفرد، إذ ركزت على دراسة العلاقة بين التعبير اللغوي وشخصية المؤلف.

من المبادئ الأساسية في آراء سبيتزر:

1. **قدرة الفرد على التعبير عن قصده: يؤمن سبيتزر بأن الكاتب يستطيع ملاءمة النمط اللغوي الذي يستخدمه مع الهدف الذي يسعى إليه، مما يتيح له التعبير الكامل عن مقصده.**
2. **الأسلوب بصفته تعبيراً عن روح الكاتب: يرى أن الأسلوب يعكس دواخل الكاتب ومشاعره، مما يجعل النص الأدبي مرآة لروحه وكوامنه.**
3. **تأثير البيئة على النص الأدبي: يعتقد سبيتزر أن الأدب لا يمكن فصله عن المؤثرات الفكرية والاجتماعية المحيطة به، حيث تلعب البيئة دورًا في تشكيل النص الأدبي.**

في تحليله للأسلوب، اعتمد سبيتزر على منهجية تبدأ من التفاصيل اللغوية الصغيرة في النص للوصول إلى فهم أعمق للكل، حيث يمكن لتفصيل واحد أن يكون مفتاحًا لفهم العمل بأكمله. بهذا، ساهم سبيتزر في تطوير منهجية تحليلية تربط بين اللغة والأدب والنقد، مسلطًا الضوء على أهمية التفاصيل اللغوية في فهم العمق الأدبي.